مهد اللغة

العدد الرابع – 1989

الاخ الاستاذ الكاتب
سعيد خاكزاد الخفر
امين
١٣١٢/١٢/١٤

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

(اسست في الهند سنة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م)
تصدر مرّة كل ثلاثة أشهر

صاحبها ورئيس تحريرها
محمد سعيد الطريحي

الاشتراك السنوي للافراد 30 $ وللمؤسسات 50 $

تطبع في بيروت وتوزع الى انحاء العالم :
ملتزم التوزيع : مؤسسة أيوب للتوزيع
شارع كليمنصو - بناية الأشقر - الطابق الأول
بيروت - لبنان ص.ب : ٦٣٩٣ / ١١٣
هاتف ٣٦٨٥٣٥ - ٣٦٨٥٣٨
كافة الاشتراكات ترسل إلى :
مجلة الموسم (محمد سعيد الطريحي) لبنان - بيروت - بنك ميكو (فرع شتورة) رقم الحساب : 07. 07. 01. 471659
تلكس رقم : 20729 Mebcgmle
Mawsem Magazne
MOHAMED SAEID TURAYHI
A/C No. 07. 07. 01. 471659
TELEX : 20729 Mebcgmle
MEBCO EAST BANKING Co. S. A. L.
CHTAURA BRANCH Lebanon

shiabooks.net

السيدة زينب

في مطافها الأخير

الشيخ أسد حيدر

نقتصر في هذا البحث على ذكر مواقف السيدة زينب الكبرى ، في خاتمة المطاف ، وآخر مراحل الجهاد المتواصل في حياتها ، فهي عندما دخلت المدينة ، واستقبلتها جموع المعزين ، اتجهت الى مسجد النبي (ﷺ) ووقفت على باب المسجد وقالت :

يا جداه يا رسول الله أنا ناعية اليك ولدك (أخي) الحسين . وهذه الكلمة هي جذوة حزن تتقد وشرارة حرب على الأمويين . وعندما دخلت الدار فلم تشغلها ذكريات الماضي ، ولم يغلب عليها الحزن عندما شاهدت خلو أمكنة أهلها ، ومحاريب العبادة التي كانت ترتفع منها أصوات المناجاة وهي موحشة .

ومهما يكن للذكريات من ألم يحز في النفس ، ويؤثر على الجوارح ربما يؤول الى الجزع ولكنها عليها السلام تطفىء حرارة وجدها بالتصبر ، واجراء دمعة الحزن التي لا يمكنها حبسها .

أقامت في المدينة تواصل جهادها بعزم وتصميم على أداء رسالتها وجمع حصيلة الثورة ، ونشر أهدافها ، فكانت تؤلب الناس على الطلب بثأر الحسين (ع) . وخشي عامل المدينة من وجودها في المدينة ، أن تفجِّر ثورة في المدينة ومكة ؛ لأن ابن الزبير رفع شعار الطلب بثأر الحسين (ع) وهياج المدينة يدعم ثورته ضد يزيد ، لأن ابن الزبير أعلن خلع يزيد ودعا الناس الى ذلك .

وكتب عامل المدينة الى يزيد يخبره بالأمر ويحذره من خطر دعوة زينب ، وجاء الأمر من يزيد بلزوم إخراجها ، ولكنها أعلنت أنها لا تخرج حتى يراق دمها .

وقالت : قد علم الله ما صار الينا ، قتل (يزيد) خيارنا ، وحملنا على الأقتاب ، فوالله لاخرجنا ، وإن أُهرقت دماؤنا .

فقالت لها زينب بنت عقيل : يا بنت العم قد صدقنا الله وعده ، وأورثنا الأرض نتبوأ منها حيث نشاء ، فطيبي نفساً ، وقرّي عيناً ، أتريدين بعد هذا هواناً ؟ إرحلي الى بلد آمن .

ثم اجتمع اليها نساء بني هاشم وتلطفن معها في الكلام .

وهاجرت زينب هجرتها الثانية ، وهي تشق طريقها بالعزم والتصميم على المضي في جهادها .

وهنا نقف على مفترق الطرق ، فنجد أقوالاً متضاربة حول اتجاه ركب العقيلة الذي أُلزم بالخروج من المدينة ، لكن الاختيار ليس بيد السلطة ، ما عدا المنع من الإتجاه الى العراق والرجوع الى المدينة .

فهل وقع الإختيار على الشام أو التوجه الى مصر ؟ وكانت خاتمة المطاف هناك ، وتوفيت بمصر ودفنت في تربتها حيث مشهدها الآن .

أم انها أقامت بدمشق مع زوجها عبد الله بن جعفر في محل إقامته في الراوية لأن له أملاكاً هناك ، فوافتها المنية ، ودفنت في مشهدها المعروف ومزارها المشهور .

أو أنها اختارت الذهاب الى مصر مع بقية أهل البيت كما ورد أنها خرجت الى مصر ومعها فاطمة وسكينة بنات الحسين . وكان خروجها في سنة ٦١ .

وقد استقبلت استقبالاً مهيباً كما حدثت رقية بنت عقبة بن نافع الفهري قالت :

كنت ممن استقبل زينب بنت علي ، عندما قدمت مصر فتقدم إليها مسلمة بن مخلد ، وعبد الله بن الحارث ، وأبو عميرة المزني ، فعزاها مسلمة فبكى وبكى الحاضرون فقالت زينب : هذا ما وعد الله ورسوله ، وصدق المرسلون .

وذكر النسابة العبدلي أن دخول السيدة زينب كان أول شعبان سنة واحد وستين ، وأقامت بمصر وهي شاكية لانحراف صحتها الى سنة ٦٢ وتوفيت يوم الأحد ليلة الاثنين لاربعة عشر يوماً خلت من رجب للسنة المذكورة ودفنت بمحل سكناها .

* * *

ثم بعد مرور عام على وفاتها وفي نفس اليوم الذي توفيت فيه اجتمع أهل مصر وفيهم الفقهاء ، والقراء ، وغير ذلك وأقاموا لها موسماً عظيماً برسم الذكرى على ما جرت به العادة ، ومن ذلك الحين لم ينقطع هذا الموسم الى وقتنا هذا من يوم وفاتها الى الآن والى ما شاء الله ، وهذا المرسم هو المعبر عنه بالمولد الزينبي ، يبدأ من أول شهر رجب من كل سنة ، وينتهي ليلة

النصف منه وهي ليلة الختام ، وتحيا هذه الليالي بتلاوة القرآن الحكيم والأذكار الشرعية ويكون لذلك مهرجان عظيم وتفد الناس من كل فج عميق الى زيارة ضريحها الشريف .

وكذلك تقصدها الناس للزيارة بكثرة لا سيما يوم الاحد وهي عادة قديمة ورثها الخلف عن السلف .

والتزم الامراء والقواد قبرها فكان كافور الاخشيدي يتعاهد زيارتها وكذلك أحمد بن طولون ، وكان الظافر الفاطمي يزورها ، وإذا أتى إلى مقامها الشريف يأتي حاسر الرأس ، مترجلاً يتصدق عند قبرها ، الخ[1] .

وبقي القبر يتعاهده الناس بالزيارة والهدايا ، وهو موضع احترام العامة والخاصة .

وقد نظمت الاشعار في تاريخ بنايات قبرها في مصر كما ألف العلماء في ترجمةالسيدة زينب رسائل ولعل أقدمها رسالة السيد يحيى بن الحسن ـ المعروف بالعبدلي بن جعفر الحجة ابن الأمير عبيد الله الأعرج ، ابن الحسين الأصغر ، ابن علي زين العابدين .

وهو أول من جمع الانساب بين دفتين ، ونشر هذه الرسالة الاستاذ حسن محمد قاسم في ضمن رسالته (السيدة زينب) وقدمها بكلمة .

قال في مقدمة الرسالة ص ٥ ـ ٦ :

فلئن كان في النساء شهيرات فالسيدة زينب أولاهن ، وإذا عُدَّت الفضائل فضيلة فضيلة ، من وفاء وسخاء ، وصدق وصفاء ، وشجاعة واباء ، وعلم وعبادة ، وعفة وزهادة ، فزينب أقوى مثال للفضيلة بكل مظاهرها .

ان اشتهار فضائل السيدة زينب ، والآثار المروية فيها وعنها في كتب التاريخ ليغني عن التوسع في ترجمتها الشريفة ، وبوجه إجمالي فهي ينبوع فضائل باقية الذكر (ولا عجب) ان عدت المثل الأعلى لرمز الحق ، ومثال الفضيلة ، وشأن الحق أن يستمر ، والفضيلة أن تشتهر ، وقد طبع آل علي (ع) على الصدق حتى كأنهم لا يعرفون غيره ، وفطروا على الحق فلا يتخطونه قيد شعرة ، فهم مع الحق والحق معهم يدور حيثما داروا .

ولقد كانت حركة أخيها الحسين المظهر الأسمى للحق ، وكانت هي في هذه النهضة داعية للحق ، هاتفة باسمه ، ونور الحق لا يطفأ وروح الصدق لا تبيد .

ولقد كانت مواقفها بين أمراء الظلم أُمثولة الحق والعدل حيثما كانت مواقف الظلمة أُمثولة العسف والجور .

---

(١) السيدة زينب ٥٨ ـ ٦٠ للاستاذ حسن محمد قاسم .

فكانت تجيب بكل ثبات وإقدام ، الأمر الذي لم يقم به أحد من البشر ، فإنها في مجلس يزيد ، وقد أُحيط بها وهي في موقف رهيب ، ناداها منادي الحق فهتفت باسمه ، وأجابت تلبيته عندما شمخ يزيد بعطفه وارتكس في مهاوي غروره ، وسوَّل له شيطانه بأنه المنتصر ، وانه لا شيء يقف أمامه ، ولا أحد يستطيع كشف سوء سريرته . اهـ .

* * *

أما قبرها في دمشق ومزارها المشهور هناك فعليه المعوّل وإليه يذهب جماعة من العلماء ، وإليها تشد رحال المسلمين من البلدان النائية . وقد حصل خلاف بين المؤرخين : هل بمصر كما قدمنا أو بدمشق ، وقالوا : إن القبر المنسوب لزينب في دمشق انه قبر زينب الوسطى بنت علي بن أبي طالب ، وهي المكناة بأُم كلثوم .

قاله الهروي في الإشارات ، وابن الجوزي في المزارات الشامية ، والعز بن شداد في الأعلاق الخطيرة ، والصيادي في الروضة البهية ، في الكلام على مزارات الجهة الشرقية من دمشق : ومنها قرية يقال لها الرواية ، قبلي دمشق ، فيها قبر السيدة زينب المكناة بأُم كلثوم بنت علي بن أبي طالب . . . توفيت بغوطة دمشق عقب محنة أخيها الحسين ودفنت في هذه القرية .

وهذا لا يمنع من نسبة القبر المشهور لزينب الكبرى ، إذ في دمشق في الجهة الشرقية يوجد قبر مشيد ، يقصده الناس للزيارة ، وعليه قبة ، وهو منسوب لأُم كلثوم ابنة الإمام علي بن أبي طالب ، وتقابلها قبة وفيها ضريح ، وهي ملصقة بقبة السيدة أُم كلثوم ، وتنسب القبة والضريح الى سكينة بنت الحسين (ع) ، وهناك مزارات أُخرى لأهل البيت .

ولا يستبعد ذلك فإن يزيد أمر بإخراج أهل البيت من المدينة ، وإخلاء دارهم من الرجال والنساء ، وليس فيها من الرجال إلا الإمام زين العابدين (ع) ، والحسن بن الحسن المثنى ، فخرج الحسن الى البادية . ويقال انهم سمحوا للإمام بالبقاء ، لا نصرافه الى العبادة .

وهناك من يقول انه خرج الى البادية مع الأعراب ، والصحيح انه بقي في المدينة ليكون تحت مراقبة الدولة ، لأنه بقية أهل البيت عليهم السلام .

* * *

وهكذا ينتهي ركب آل محمد ، بعد تلك الرحلة الشاقة ذات الفجائع والمآسي ، ولكن حصيلة ذاك الجهاد ، وحصاد ذلك البذر أن أصبحت الثورة شعلة تتأجج ونوراً يزيل الحجب التي ضربها أُولئك الدجالون في طريق دعوة الاصلاح .

لقد نجحت الثورة ، والى الأبد ستبقى وحليفها النجاح وكان نصيب أُولئك الذين تورطوا بانتحال الأمرة على المسلمين ، وحاولوا القضاء على دعاته ، وحملة رسالته ، أن تفرق شملهم وخسرت صفقتهم .

وكان جميع الذين اشتركوا في قتل الحسين ، قد نالهم الذل والهوان ، وماتوا أسوأ ميتة ، فقد قتلوا وديست جيفهم بالأقدام ، بعد أن شردوا وأصبحوا مطاردين .

* * *

فابن زياد على قوته وتجبره ، ونفوذ سلطانه أصبح مشرداً ، فهو عندما عاد الى البصرة ، طلبه أهلها فاستجار بأحد الزعماء واخفاه ، ثم هرب ليلاً على حمار ، وقلبه يخفق خوفاً من الطلب ، حتى قتله الثوار ، الذين رفعوا شعار (يا لثارات الحسين) وبقيت جيفته للكلاب بعد أن سحقت بالأقدام .

وعمر بن سعد قتل على فراشه . وهكذا فقد شردوا واهينوا ، وهذا ما وعدهم به الحسين إذ قال :

«إنّي لَأَرْجُو الله أَنْ يُكْرِمَنِي بِهَوانِكُمْ» .

ولقد لقي جميع من اشترك في قتل الحسين حتفهم على أبشع الصور ، وأشدها مذلة وهواناً ، وشردوا في البلاد ، وتتبعهم الثوار ، فقتلوهم أينما وجدوا حتى قتلوا منهم في يوم واحد مائتين وثمانين رجلاً ، ولم يفلت من زعمائهم أحد ، كعمر بن الحجاج ، وشبث بن ربعي ، وشمر بن ذي الجوشن وغيرهم .

كما ابتلي أكثرهم بعاهات وأمراض قضت عليهم بعد بلاء شديد وعذاب أليم .

أما يزيد فعاش تعساً بآلامه وآثامه ، فاستحق لعنة الله وغضب الأُمة . وينهض بقية الصحابة من أبناء المهاجرين في وجهه ، فتقع مأساة الحرة ، وفجيعة المدينة ، بيد علوج الشرك من أنصاره وقادته ثم يتبعها بهدم الكعبة ، حتى ذهب الى عذاب الله وغضبه .

وبقي الحسين خالداً ، والدنيا كلها تلهج بذكره ، والثوار ضد حكام الجور يهتفون باسمه ، والمسلمون يقيمون ذكراه ، ويجددون أيام فاجعته ، منذ يوم قتله حتى يومنا هذا .

ويصبح يومه منار هدى ، وسبيل نجاة ، وثورته دروساً للأجيال ، وعبرة لدعاة الإصلاح ، وجذوة لا تخبو ، ومفخرة لا تنسى ، وتلك الجذوة المباركة لا تخبو .

ويموت يزيد بحسرته ، ويخلفه ابنه «معاوية الثاني» ، وهنا يوجه القدر الحكيم أذكى ضرباته ، فيقف ابن يزيد نفسه ، ليحمل شعلة الحسين ، ويُزيد الجذوة ضراماً ، حين يجمع الناس ليوم مشهود ، ثم يعلن فيهم . . . أن جده وأباه ، اغتصبا الحق من أهله ، وأنه يبرأ الى الله مما جنت أيديهما . . . وانه يرباً بنفسه ويتقواه من أن يجلس على العرش الملوث بالجريمة .

ثم يعلن عليهم اعتزاله منصبه ، ويعتكف في بيته ، حتى يأتيه الموت ، فيلقى الله تقياً نقياً سعيداً[1] .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

* * *

وبه انقطعت سلسلة خلافة آل أبي سفيان ، وتحوَّل الأمر الى ابن الحكم . ولقد خابت مساعي معاوية ، وباءت جهوده بالفشل ، إذ حاول حصر الخلافة في ذريته ، عندما أخذ البيعة لولده يزيد ، كما فشل يزيد في مسعاه للانتصار على الحسين (ع) وبذل كل إمكانياته ، واستعمل أقصى قدرته ، واتخذ جميع وسائل الانتصار في صراعه مع الحسين ، ذلك الصراع الموروث والتخاصم الحاد منذ عهد الجاهلية الأولى ، بين هاشم وأُمية ، ومحمد (ﷺ) وأبي سفيان ، وعلي ومعاوية ، والحسين ويزيد ، وهو الممثل لنزعات بيته الأموي ، وكانت آمالهم تحوم حوله في القضاء على خصومهم ، وفي كربلاء كان تقرير المصير ، ونهاية المعركة المستمرة ، وتصفية الحساب هناك .

وظنَّ يزيد انه بلغ قمة النصر بقتله الحسين بن علي (ع) ولكنه أخطأ الهدف ، وانتصرت الثورة التي رفع لواءها الحسين فهدم عرش الأمويين .

ووقع الأمر الذي لا بد منه ، وصوت زينب تردده أمواج الأثير وهي تقول «فَكِدْ كَيْدَكَ وَاسْعَ سَعْيَكَ وَنَاصِبْ جُهْدَكَ ، فَوَالله لا تَمْحو ذِكْرنا وَلا تُمِيتَ وَحْيَنا» .

---

(١) خالد محمد خالد : أبناء الرسول في كربلاء ١٩٣ .